ام اردت ضرب الناقة فقال النبي عليه السلام اعيذك بالله يا عكاشة ان يتوك
رسول الله عليه السلام وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام ا
الاقتصاص عن نفسه للاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي عليه السلام قد ضربه
بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي عليه السلام ينهاه ويقول له
تدرك حاجتك وتأبى هو فضربه بعد مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف
عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه في الامر
حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي عليه السلام وانا متخلق فقال له
ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني فقلت القصاص
يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه
بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه كما قدمناه فصل
واما افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمنا
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا
فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية
مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها الا الضرورة
وما يقيم به رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس
امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر
يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او مداراة
حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان
يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب
في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب
دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك
في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل
من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره

١٤٧

خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور
الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن
بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين
من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء
الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها
وحذرا من نفور قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال
لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم
ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو
من قريش وقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه
للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس
لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه
الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو شيء من اطرافه وحتى كان على
رؤوسهم الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه
ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب
ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه ويقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة ا
الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل
الان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر الناس لشره وكيف
جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام
كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه
ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة فكيف
بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني
حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما

من اتقاه الناس صح

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)